مرضُ القلب، خروجُه من استقامة الفطرة
علاجُه: التّوبةُ، والتّذكُّرُ، والذِّكر

العلّامة السيّد محمّد حسين الطباطبائي قدس سره

جاء كلامُ العلّامة المُفسِّر السّيّد الطّباطبائيّ رحمه الله عن مَعنى «مرض القلب» الّذي تكرّر ذكرُه في القرآن الكريم، في سياق تفسيره للآية ٥٢ من سورة المائدة، وهي قوله تعالى: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ..﴾، حيثُ اعتُبِر هؤلاء مَرْضى القلوب إثْر اتّخاذهم اليهود والنّصارى أولياءَ، كما نصّت الآية السّابقة على هذه الآية. وفي البحث تفريقٌ بين «مَرضى القلوب» والمنافقين الذين هم «مَوتى القلوب».

في قوله تعالى ﴿..فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ..﴾ المائدة:٥٢ دلالةٌ على أنّ للقلوبِ مَرَضاً، فلها لا محالة صحّةٌ، إذ الصّحّة والمَرض متقابلان لا يتحقّق أحدُهما في محلٍّ إلّا بعد إمكان تلبُّسه بالآخر، كالبَصر والعَمى. ألَا ترى أنّ الجدار مثلاً لا يتّصفُ بأنّه مريضٌ لعدم جواز اتّصافه بالصّحّة والسّلامة.

وجميعُ الموارد الّتي أثبتَ اللهُ سبحانه فيها للقلوب مرضاً في كلامه، يَذكر فيها من أحوالِ تلك القلوب وآثارها أموراً تدلّ على خروجها من استقامة الفطرة، وانحرافها عن مستوى الطّريقة، كقولِه تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾ الأحزاب:١٢، وقوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَـٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ..﴾ الأنفال:٤٩، وقوله تعالى: ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ..﴾ الحج:٥٣، إلى غير ذلك.

معنى مرضِ القَلب وصحّته

وجملةُ الأمر، أنّ مرضَ القلبِ تلبُّسُه بنوعٍ من الارتياب والشّكّ يُكدّر أمرَ الإيمان بالله والطّمأنينةَ إلى آياته، وهو اختلاطٌ من الإيمان بالشّرك، ولذلك يَرِدُ على مثل هذا القلب من الأحوال، ويَصدر عن صاحب هذا القلب في مرحلة الأعمال والأفعال ما يُناسب الكفرَ بالله تعالى وبآياته.

وبالمقابلة، تكون سلامةُ القلبِ وصحّتُه هي استقراره في استقامة الفطرة، ولُزومه مستوى الطّريقة، ويؤول إلى خلوصه في توحيد الله سبحانه، وركونه إليه عن كلّ شيء يتعلّق به هوى الإنسان، قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ الشعراء:٨٨-٨٩.

> **مرضُ القلبِ -في عُرف القرآن- هو الشّكّ والرَّيب المُستولي على إدراك الإنسان في ما يتعلّق بالله تعالى وآياته، وعدم تمكُّن القلب من العقدِ على عقيدةٍ دينيّة.**

ومن هنا يَظهر أنّ الّذين في قلوبهم مرضٌ غيرُ المنافقين، كما لا يخلو تعبيرُ القرآن عنهما بمثل قوله: ﴿..ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ..﴾ الأنفال:٤٩ في غالب الموارد عن إشعارٍ ما بذلك، وذلك أنّ المنافقين هم الذين آمنوا بأفواههم ولم تُؤمن قلوبهُم، والكفر الخاصّ موتٌ للقلبِ لا مَرضٌ فيه، قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ..﴾ الأنعام:١٢٢، وقال: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ..﴾ الأنعام:٣٦.

فالظَّاهر أنّ مرضَ القلبِ في عُرف القرآن هو الشّكّ والرَّيب المُستولي على إدراك الإنسان في ما يتعلّق بالله وآياته، وعدم تمكُّن القلب من العقدِ على عقيدةٍ دينيّة.

فالَّذين في قلوبهم مرضٌ، بِحَسب طبع المعنى، هم ضعفاءُ الإيمان، الّذين يُصغون إلى كلّ ناعِقٍ، ويَميلون مع كلّ ريحٍ، دون المنافقين الّذين أظهروا الإيمان واستَبْطَنوا الكُفر رعايةً لِمصالحهم الدّنيويّة، ليَستدرّوا المؤمنين بظاهر إيمانهم، والكفّار بباطنِ كُفرِهم.

نعم، ربّما أُطلِق عليهم المنافقون في القرآن تحليلاً لكونهم يشاركونهم في عدم اشتمال باطنِهم على لطيفة الإيمان، وهذا غيرُ إطلاق «الّذين في قلوبهم مَرض» على من هو كافرٌ لَمْ يؤمن إلّا ظاهراً، قال تعالى: ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ النساء:١٣٨-١٤٠.

وأمّا قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ -إلى أن قال-: ﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ ..﴾-إلى أن قال-: ﴿و وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ ..﴾ البقرة:٨-١٣، فإنّما هو بيانٌ لِسلوك قلوبهم من الشّكّ في الحقّ إلى إنكاره، وأنّهم كانوا في بادئ حالِهم مَرضى بسبب كَذِبهم في الإخبار عن إيمانهم، وكانوا مُرتابين لَمْ يُؤمنوا بعد، فزادَهُم اللهُ مرضاً حتّى هلكوا بإنكارهم الحقّ واستهزائهم به.

وقد ذكر اللهُ سبحانه أنّ مرضَ القلب على حدّ الأمراض الجسمانيّة، ربّما أخذ في الزّيادة حتّى أَزْمَن وانجرّ الأمر إلى الهلاك، وذلك بإمداده بما يضرّ طبعَ المريض في مرضِه وليس إلّا المعصية، قال تعالى: ﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ ..﴾ البقرة:١٠، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ ..﴾ -إلى أن قال-: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ التوبة:١٢٤-١٢٦، وقال تعالى -وهو بيان عامّ-: ﴿ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ الروم:١٠.

> **ذكر اللهُ سبحانه أنّ مرضَ القلب على حدّ الأمراض الجسمانيّة، يأخذ في الزّيادة حتّى يُزْمِن ويؤدّي إلى الهلاك، وذلك بإمداده بما يضرّ طبعَ المريض، وليس إلّا المَعصية.**

ثمّ ذَكَرَ تعالى في علاجه الإيمان به، قال تعالى -وهو بيانٌ عامّ: ﴿ ..يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ..﴾ يونس:٩، وقال تعالى: ﴿ ..إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ..﴾ فاطر:١٠؛ فعلى مريض القلب، إنْ أراد مُداواةَ مرضه، أنْ يَتوب إلى الله، وهو الإيمانُ به، وأنْ يَتذكّر بِصالح الفِكْر وصالح العمل، كما يُشير إليه الآية السّابقة: ﴿ ..ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ التوبة:١٢٦.

وقال سبحانه وهو قولٌ جامع في هذا الباب: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ النساء:١٤٤-١٤٦. وقد تقدّم أنّ المراد بذلك الرُّجوعُ إلى الله بالإيمان والاستقامة عليه، والأخذ بالكتاب والسنّة، ثمّ الإخلاص.

﴿..سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾

إسماعيلُ عليه السلام في المذبَح

آية الله الشّيخ ناصر مكارم الشّيرازيّ*

كان عمرُ إسماعيل عليه السلام ثلاثة عشر عاماً حينما رأى النبيّ إبراهيم عليه السلام ذلك المنام العجيب المحيِّر، والّذي يدلُّ على بدء امتحانٍ عسيرٍ آخَر. رأى في المنام أنَّ اللهَ تعالى يأمرُه بذبحِ ابنه الوحيد، وهو يعلم أنَّ ما يَراه الأنبياءُ في نومهم حقيقة وليس من وساوس الشَّياطين، وقد تكرَّرت رؤياه هذه ليلتَين أُخريَين، فكان ذلك تأكيداً على ضرورة تنفيذ الأمر فوراً.

امتحانٌ شاقٌّ آخَر يمرُّ على إبراهيم عليه السلام، خليلِ الرّحمن الّذي نَجح في جميع الامتحانات الصّعبة السّابقة وخرج منها مرفوع الرّأس، وهو امتحانٌ يَفرض عليه وَضع عواطف الأبوّة جانباً، والامتثال لأوامر الله بذبح ابنه اليافع الذي التقاه بعد طول غيابٍ عنه.

ولكن قبل كلِّ شيء، فكَّر إبراهيم عليه السلام في إعداد ابنه لهذا الأمر، حيث قال: ﴿..يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ..﴾ الصافات:١٠٢.

رحَّب الولدُ بالأمر الإلهيّ بصدرٍ واسعٍ وطيبة نفسٍ، وبصراحةٍ واضحةٍ قال لوالده: ﴿..يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ..﴾ الصافات:١٠٢، ولا تفكّر في أمري، فإنَّك ﴿..سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ الصافات:١٠٢.

فمن جهة، الأبُ يُصارِح وَلَدَه البالغ من العمر ثلاثة عشر عاماً بقضيّة الذّبح، ويطلب منه إعطاء رأيه فيها، حيث جَعَلَه هنا شخصيّةً مستقلّةً حرَّة الإرادة، فهو لم يقصد أبداً خداعَ ولده، ودعوته إلى ساحة الامتحان العسير بصورةٍ عمياء، بل رَغب بإشراكه في هذا الجهاد الكبير ضدَّ النّفس، وجَعْلِه يَستشعر حلاوةَ لذّة التّسليم لأمرِ الله والرّضى به، كما استَشْعر حلاوتَها هو.

ومن جهةٍ أُخرى، عمد الابن إلى ترسيخ عزم والده وتصميمِه في تنفيذ ما أُمر به، إذ لم يقل له: اذبَحْني، وإنَّما قال له: افعَلْ ما أنتَ مأمورٌ به، فإنَّني مُستسلمٌ لهذا الأمر، وخاصَّةً أنَّه خاطب أباه بكلمة يا أبتِ، كي يوضّح أنَّ هذه القضيّة لا تُقلِّل من عاطفة الابن تجاه أبيه ولو بمقدار ذرَّة، وأنَّ أمرَ الله تعالى هو فوق كلِّ شيء.

ومن جهةٍ ثالثةٍ، أظهَر أدباً رفيعاً اتّجاه الله سبحانه وتعالى، وأن لا يَعتمد أحدٌ على إيمانِه وإرادتِه وتصميمِه فقط، وإنَّما يَعتمد على إرادةِ ومشيئة الله، وبعبارةٍ أخرى: أنْ يَطلب توفيق الامتثال والاستقامة من الباري عزّ وجلّ.

جزاءُ المحسنين

وبهذا الشّكل يَجتازُ الأبُ وابنُه المرحلةَ الأولى من هذا الامتحان الصّعب بانتصارٍ كامل.

قَرُبَت اللّحظاتُ الحسّاسة، وعندما رأى إبراهيم عليه السلام درجةَ استسلامِ ولدِه للأمر الإلهيّ احتَضَنَه وقبّل وَجهَه، وفي هذه اللّحظة بَكى الاثنان، البكاء الّذي يُبرِز العواطف الإنسانيّة ومقدّمة الشّوق للقاء الله عزّ وجلّ. القرآن الكريم يوضحُ هذا الأمر في جملةٍ قصيرةٍ، لكنّها مليئة بالمعاني، يقول تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾ الصافات:١٠٣.

كبَّ إبراهيمُ عليه السلام ابنَه على جبينه، ومرَّر السّكّين بسرعة وقوّة على رقبةِ ابنه، وكان حبُّ اللهِ سبحانه الشّيء الوحيد الّذي يدفعه إلى تنفيذ الأمر، ومن دون أيّ تردُّد. إلّا أن السّكّين الحادّة لم تَترك أدنى أثرٍ على رقبة إسماعيل اللّطيفة. هنا تعجّبَ إبراهيم عليه السلام، فَمرَّر السّكّين مرّةً أخرى على رقبة ولده، ولكنّها -كالمرّة السّابقة- لم تؤثّر أبداً. نعم! إبراهيم الخليل عليه السلام يقول للسّكّين: اِذبحي، لكنَّ اللهَ الجليل يُعطي أوامرَه للسّكّين: أنْ لا تذبحي، والسّكّينُ لا تستجيب سوى لأوامر الباري تبارك وتعالى.

وهنا يُنهي القرآن الكريم كلَّ حالات التّرقُّب بعبارةٍ قصيرةٍ مليئةٍ بالمعاني العميقة: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ الصافات:١٠٤-١٠٥، إذ نَمنحهم توفيق النّجاح في الامتحان، ونَحفظ لهم وَلَدَهُم العزيز، ثمَّ يُقرِّرُ القرآنُ الكريم: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ﴾ الصافات:١٠٦.

* (الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل)، مختصر.

موجز في التّفسير

سورةُ «ص»

من دروس «المركز الإسلامي»

* السُّورة الثامنة والثّلاثون في ترتيب سوَر المُصحف الشّريف، نزلتْ بعد سورة «القمر».
* آياتُها ثمانٍ وثمانون، وهي مكّيّة، تُستحبّ قراءتُها ليلةَ الجمعة، ويُعصمُ قارئها من الإصرار على الذنب.
* سُمِّيت بـ «ص»، لابتدائها بقوله عزّ وجلّ: ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ﴾.

«ص» من الحروف المقطّعة في القرآن الكريم، تُقرأ بمدّها مدّاً زائداً (صآد)، وقد ذُكر في معناها أقوال، منها: «ص، اسمٌ من أسماء الله تعالى أقسَم به». ومنها: «إنّها اسمٌ من أسماء القرآن». ومنها: «معناها صدَق اللهُ أو صدَق محمّدٌ ﷺ». ومنها، وهو معنًى لطيف: «صادَ محمّدٌ قلوبَ الخَلْق واستمالَها حتّى آمنوا به وأحبّوه».

محتوى السّورة

«**تفسير الميزان**»: يدورُ الكلامُ في القسم الأوّل من السّورة حولَ كَوْن النّبيّ ﷺ منذراً بالذِّكر النّازل عليه من عند الله سبحانه، الدّاعي إلى التّوحيد وإخلاصِ العبودية له تعالى. كما تُشير إلى استكبار الكافرين عن الإذعان لكلمةِ التّوحيد، وصَدِّ النّاس عن رسول الله ﷺ، وتَفوُّههم بباطل القول في معرض الرّدّ ومعاندة النّبيّ الأكرم ﷺ.

وفي القسم التّالي يُؤمَرُ رسول الله ﷺ بالصّبر، ويرِدُ ذكرُ قصصِ عبادِ الله تعالى الأوّلين، ثمّ يذكر المولى عزّ وجلّ مآلَ حالِ كلٍّ من المتّقين والطّاغين، وأنّ عاقبةَ إبليس الذي أبى السّجود لآدمَ عليه السلام، وعاقبةَ أتباعه المعاندين هي أن يملأ اللهُ تعالى جهنّم منهم أجمعين، هكذا في القسم الأخير من السّورة. (بتصرّف)

***

«**تفسير الأمثل**»: يُمكن اعتبارُ سورة «ص» مكمّلةً لسورة «الصّافّات»، فمُجمل مواضيعها يُشابِهُ كثيراً ما ورد في سورة «الصّافّات». ولِكَون السّورة مكّيّة النّزول، فإنّ خصائصها كخصائص بقيّة السّوَر المكّية، التي تبحث في مجال المبدأ، والمعاد، ورسالة النّبيّ الأكرم ﷺ، كما أنّها تحتوي على مواضيع حسّاسة أُخَر. وفي المجموع، [هي] بمنزلة الدّواء الشّافي لكلّ الباحثين عن طريق الحقّ. ويُمكن تلخيص محتويات هذه السّورة المباركة في خمسة أقسام:

القسم الأوّل: يتحدّث عن مسألة التّوحيد، والجهاد ضد الشّرك والمشركين، ومهمّة نبوّة الرّسول الأكرم ﷺ، وعناد ولَجاجة الأعداء تجاه الأمرَين المذكورين أعلاه. [الآيات: ١-١٦]

القسم الثّاني: يعكس جوانب من تاريخ عددٍ من أنبياء الله تعالى، من بينهم داود، وسليمان، وأيّوب عليهم السلام، حيث تتحدّث السّورة عنهم أكثر من غيرهم، ويعكس -أيضاً- المشكلات التي عانوا منها في حياتهم، وخلال دعوتهم النّاس إلى الله تبارك وتعالى، وذلك لكي تكون درساً مفيداً يتّعظ منه المؤمنون الأوائل، الذين كانوا في ذاك الوقت يرزحون تحت أشدّ الضّغوط من قِبل المشركين. [الآيات: ١٧-٥٤]

القسم الثّالث: يتطرّق إلى مصير الكَفَرة الطّغاة يوم القيامة، ومجادلة بعضهم بعضاً في جهنّم، ويبيّن للمشركين والذين لا يؤمنون بالله عزّ وجلّ إلى أين ستؤدّي بهم أعمالهم. [الآيات: ٥٥-٧٠]

القسم الرّابع: يتناول مسألة خَلْق الإنسان، وعُلوّ مقامه، وسجود الملائكة له، ويكشف عن الفاصل الكبير الموجود بين سموّ الإنسان وانحطاطِه، كي يفهم المعاندون قيمةَ وجودهم، ويُعيدوا النّظَر في نُظُمِهم المنحرفة، ليخرجوا من زمرة الشّياطين. [الآيات: ٧١-٨٥]

القسم الخامس والأخير: يتوعّد الأعداء المغرورين بالعذاب، ويواسي رسول الله ﷺ، ويبيّن أنّ النبيّ ﷺ لا يريد جزاءً من أحدٍ مقابلَ دعوته، ولا يريد الشّقاء والأذى لأحد. [الآيات:٨٦-٨٨]

ثواب تلاوتها

«تفسير مجمع البيان»: عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «مَن قرأ (سورة ص) أُعطي من الأجر بوزن كلّ جبلٍ سخّره اللهُ لداودَ حسنات، وعصمَه اللهُ أن يُصرّ على ذنبٍ صغيراً كان أو كبيراً».

* عن الإمام الباقر عليه السلام: «مَن قرأ (سورة ص) في ليلة الجمعة أُعطي من خير الدّنيا والآخرة ما لم يُعطَ أحدٌ من النّاس إلّا نبيٌّ مرسل، أو ملَكٌ مقرّب، وأدخلَه اللهُ الجنّةَ وكلَّ مَن أحبَّ من أهل بيته، حتّى خادمَه الذي يخدمُه..».

تفسيرُ آياتٍ منها

بعد ذكر الآية الكريمة، نوردُ ما رُويَ من الحديث الشّريف في تفسيرها نقلاً عن (تفسير نور الثّقلين) للمحدّث الشّيخ عبد علي الحويزي رضوان الله عليه.

* قوله تعالى: ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ﴾ ص:١.

* الإمام الصّادق عليه السلام: «.. وأمّا (ص) فعينٌ ينبعُ من تحت العَرش، وهي التي توضّأ منها النّبيّ صلى الله عليه وآله لمّا عُرِجَ به، ويَدخلُها جبرئيلُ كلّ يوم دخْلةً فينغمسُ فيها، ثمّ يخرجُ منها فينفضُ أجنحتَه، فليس من قطرةٍ تقطرُ من أجنحتِه إلّا خلقَ اللهُ تبارك وتعالى منها ملَكاً يسبّحُ الله، ويقدّسه، ويكبّرُه، ويحمَدُه إلى يوم القيامة».

* قوله تعالى: ﴿..وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ﴾ ص:٢٠.

* أمير المؤمنين عليه السلام: «والله، لقد أعطاني اللهُ تبارك وتعالى تسعةَ أشياء لم يُعطِها أحداً قبلي خلا النّبيّ صلى الله عليه وآله: لقد فُتِحَت ليَ السُّبُل، وعُلّمتُ الأسباب، وأُجرِيَ لي السَّحابُ، وعُلّمتُ المنايا والبلايا، وفصلَ الخطاب..».

** عن أبي الصَلْت الهروي، قال: كان الرّضا عليه السلام يُكلّم النّاس بلُغاتهم، وكان وَاللهِ أفصحَ النّاس وأعلمَهم بكلّ لسان ولغة، فقلتُ له يوماً: يا ابنَ رسول الله! إنّي لأَعجبُ من معرفتك بهذه اللّغات على اختلافها؟ فقال عليه السلام: «يا أبا الصّلت! أنا حجّةُ الله على خلقِه، وما كان اللهُ ليتّخذَ حجّةً على قومٍ وهو لا يعرفُ لغاتِهم، أَوَما بلغَك قولُ أمير المؤمنين عليه السلام: أُوتينا فصلَ الخطاب. فهل فصلُ الخطابِ إلّا معرفةُ اللّغات».

* قوله تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ ..﴾ ص:٢٦.

* الإمام الصّادق عليه السلام: «لا تذهبُ الدّنيا حتّى يخرجَ رجلٌ منّي يحكمُ بحكومة آل داود، ولا يسألُ بيّنةً، يُعطي كلَّ نفسٍ حقَّها».

** عنه عليه السلام: «.. إنّ الله تبارك وتعالى أمرَ طوائفَ من الملائكة ".." فنادَوا لقمان حيث يسمعُ ولا يراهم، فقالوا: يا لقمان! هل لك أن يجعلَك اللهُ خليفةً في الأرض تحكمُ بين النّاس؟ فقال لقمان: إنْ أمرَني اللهُ بذلك فالسّمْعُ والطّاعة، لأنّه إنْ فعلَ بي ذلك أعانَني عليه، وعلّمني، وعصَمني، وإنْ هو خيّرني قبلتُ العافية. فقالت الملائكة: يا لقمانُ لِمَ؟ قال: لأنّ الحُكمَ بين النّاس من أشدّ المنازل من الدِّين ".." وصاحبُه فيه بين أمرَين: إنْ أصابَ فيه الحقّ فَبالحَريّ أن يَسلَم، وإن أخطأ، أخطأَ طريقَ الجنّة..».

* قوله تعالى: ﴿..وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ..﴾ ص:٢٦.

* النّبيّ صلى الله عليه وآله: «إنّ أخوَف ما أخاف على أمّتي: الهوى، وطول الأمل. أمّا الهوى فإنّه يصدُّ عن الحقّ، وأمّا طولُ الأمل فيُنسي الآخرة».

* قوله تعالى: ﴿أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ﴾ ص:٢٨.

* الإمام الباقر عليه السلام: «كان أميرُ المؤمنين عليه السلام يقول: إنّ لأهل التّقوى علاماتٍ يُعرَفون بها: صدق الحديث، وأداء الأمانة، والوفاء بالعهد، وقلّة الفَخر والتّجمّل، وصِلة الأرحام، ورحمة الضّعفاء، وقلّة المواتاة للنّساء، وبذل المعروف، وحُسن الخُلق، وسعة الحِلم، واتّباع العلم في ما يُقرّب إلى الله تعالى».

* قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ ..﴾ ص:٧٥.

* الإمام الرّضا عليه السلام: «يعني بقدرتي وقوّتي».

* قوله تعالى: ﴿..وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ﴾ ص: ٨٦.

* النّبيّ صلى الله عليه وآله: «للمتكلّف ثلاثُ علامات: يتملّقُ إذا حضَر، ويغتابُ إذا غاب، ويشمتُ بالمصيبة».

** وعنه صلى الله عليه وآله في رواية أخرى: «للمتكلّف ثلاث علامات: يُنازع مَن فوقَه، ويتعاطى ما لا ينال، ويقولُ ما لا يعلم».

* قوله تعالى: ﴿وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ﴾ ص:٨٨.

أمير المؤمنين عليه السلام: «عند خروج القائم».